1997032 2-0001-b
٩٧/٣/٢٢

آلاف الأبناء والأزواج اقتيدوا إلى المجهول

أمهات المخطوفين: ١٥ عاماً في انتظار العيد

المأساة طالت والأمل باقٍ... والخبر اليقين من السلطات الرسمية لم يصدر بعد

أمهات المخطوفين في بهو دار الفتوى اثناء احد تحركاتهم (م.ع.م)

في الأمومة ايضا، جنديات مجهولات، أمهات في العتم المخيف، تضيء عيونهن بالقلق والتساؤلات فلا يشعر بعذاباتهن غير الله... منسيات، مهملات ممن تقع على عواتقهم مسؤولية الاخذ بأيديهن وكفكفة دموعهن... يتألمن بصمت، ويتآكلن في داخلهن بصمت ايضا... ينسين اعمارهن في غمرة الصراع مع الحياة، يتهن كنساء عن مراياهن، ويحترفن التعب والسباق مع الوقت من اجل تأمين لقمة العيش لفلذات اكبادهن... اولئك امهات المخطوفين في الحرب الاهلية اللبنانية...

يخطئ من يظن، ان ملف قضية المخطوفين طواه الزمن وتآكله الصدأ... فالمخطوف ما زال حيا، ان لم يكن في الوجود حقا، ففي وجدان اهله وشغفهم وقلقهم الذي لا يستكين ولا يهدأ... «لن يموت مخطوف من ابنائي الثلاثة طالما لا اعرف شيئا عن مصيره، ولا احتضن له رفاته»... قالتها ام تيسير التي قضقضت مأساة الخطف ظهرها. اما لارا الدبس المرأة التي خطف زوجها وتكفلت رعاية ابنتها بشق النفس فقالت: «الخطف اشد إيلاما من الموت. لأن الموت نهائي... اما الخطف، فهو التعايش الرهيب مع مرارة دائمة وأمل مبهم حتى ترفع الستارة عن المصير...»!!.

شهادات حية وواقعية، وعينات لأمهات لا تطاولهن الاحتفالات الرسمية بذكر، ولا يعرج عليهن في خُطب المناسبات، ولا تسمع بهن المؤسسات ذات الطابع الاجتماعي والإنساني... لكن، رغم الصمت الرسمي الفاقع، والرهان الرسمي على موت القضية، فالقضية تروي قصتها على السنة ضحياتها وبطلاتها في آن معا، لتقول الكلمة الفصل في هذه الدراما المتواصلة منذ عشرين عاماً...

ماذا تقول ام تيسير، المرأة الخمسينية، التي اغتذى الارهاق والهم والكد المتواصل من صحتها وكثف خطوط العمر حول فمها وعينيها... ام تيسير تعايش وجع الرأس الليلي منذ سنوات، فلا تنام إلا على «البنادول» وأدوية الالتهابات، واذا نامت، فجالسة، فهي تعيل عائلة من تسعة اشخاص وتختزن في داخلها مأساة فقدان ثلاثة ابناء وزوج...

□ ماذا يعني لك العيد يا أم تيسير، عيد المرأة العالمي وعيد الأم؟

- لا يعني لي العيد شيئاً على الاطلاق... بل انه يذكرني بالمأساة التي قلما أنساها.

اتذكر اولادي تيسير وحمزة وناصر الذين خطفوا مع زوجي ابو تيسير امام عيني. كيف اعتقلوا وجردوهم من قمصانهم وعصبوا بها أعينهم، ثم رموهم في احد «الكميونات» كالحيوانات الذاهبة الى حتفها في المسلخ وانطلقوا بهم، من ثم، في رحلتهم صوب المجهول الذي ما زال مجهولا... فيما ابتدأت رحلتي مع العذاب والشقاء...

ام تيسير لا تستطيع سماع اغنية عاطفية لأنها تذكرها بشريط التسجيل الأخير الذي اهداها اياه تيسير قبل اختطافه بمناسبة عيد الأم، وفيه اغنية «أنا مسافر يا أمي ودعيني» لست احفظها كلها» تقول..

□ هل تمانعين ان نسمع الشريط؟

ترد بنبرة مختنقة: لا ابدا، هات الشريط يا بلال وآلة التسجيل... وتنطلق الاغنية الحنونة التي كأنما صيغت على قد المأساة وعلى ايقاع الحانها الحزينة.

آنا مسافر يا أمي ودعيني
أحضنيني وبحنانك زوديني
بعطف الأم تترضي عليّ
وإذا جرحتك يا أمي سامحيني
انا عرفان دمعاتك سخيّ
لا تبكي يا حنونة بتجرحيني
يا أمي كل ما تسالك عني صبية
ابنك وين عنوانو عطيني
قوليلا راح سافر يا بنيتي
ما بعرف وين حملتوا السفينة

ووسط النشيج، روت أم تيسير معاناتها التي كابدتها منذ تم تشتيت شمل العائلة وغياب معيلها والأبناء الثلاثة. فقد وجدت الأم نفسها منذ ذلك الوقت، تتخبط كيف تعيل هذا الجيش من الاطفال الذين لا يتعدى عمر اصغرهم الـ١٢ عاماً؟ وكيف تتابع قضية الاختطاف المجرم؟ تروي أم تيسير انها كانت تلاحق الاخبار، وتنط من مرجع إلى مرجع، ومن مسؤول إلى مسؤول، ومن ميليشيا إلى ميليشيا... تقول انها تمسكت بحبال الهواء، وصارعت اليأس، وانضمت بعد فترة إلى لجنة أهالي المخطوفين، فتظاهرت، وافترشت الأرض في الاعتصامات، وهتفت حتى بح منها الصوت وانهك الجسد... امسكت قضيتها بيد، وعائلتها بقبضة اليد الاخرى، فاستطاعت ان تمنع تشرذمها، وأبعدت عنها خطر الأذى والانحراف وأمنتها من جوع وخوف.

□ ماذا عملت لتأمين معيشة العائلة؟ ومن ساعدك؟

- عملت في البيوت.. لم امد يدي الى احد، ولم اطلب مساعدة من احد حتى من الأقارب.. وصلت الليل بالنهار اقطع من اللحم الحي لأطعم اولادي وأولاد ابني المخطوف الذين تكفلت بهم أيضا حتى كبروا وشبوا.. كانت المسؤولية اضخم من ان يحملها كاهلي، الا اني واجهت الحياة ومصاعبها بصبر ومكابدة وإيمان.. احمد ربي اني استطعت ان اقوم بدور الأب والأم والجدة على اكمل وجه، فلم يشعر اولادي بفراغ كبير نتيجة غياب الوالد.. غير اني كنت أحس وما أزال باننا متروكون ومنسيون في هذا الوطن ولا احد يسأل عنا كعائلات فقدت معيلها. اقولها وبكل صراحة، فانا لم استطع ان اكمل تعليم اولادي، واضطررت الى اخراجهم من المدرسة بالحد الأدنى من مبادئ القراءة والكتابة.. لم استطع ان ألبي شروط تربيتهم بسبب ضيق ذات اليد، فكان ان نزلوا الى سوق العمل باكرا، كي يشاركوا في تحمل اعباء الحياة.. انا لا الوم قريبا بسبب عدم المساعدة فكلنا بالهوا سوا، ولكني الوم الدولة التي اهملتنا ورمت قضيتنا وراء ظهرها، وكأننا متاع يرمى به.. فلم تنظر الى حاجاتنا واحتياجاتنا كمواطنين منكوبين.. يشهد الله باني كنت اقطع رغيف الخبز عن افواه اطفالي عندما اضطر الى تأمين ثمن دواء.. ابني اراد تجديد هويته منذ مدة فطلبوا منه مبلغ اربعمئة الف ليرة.. عندما تقدم الاولاد بطلب الاستحصال على الجنسية سئلوا عن توقيع والدهم، قالوا لهم انه مخطوف من اين ناتي به؟ ردوه الينا ولا نريد الجنسية...

ثم كيف نطالب الدولة بالنظر في اوضاعنا وهي التي لم تكلف نفسها يوما، عناء البحث عن مخطوفينا، والكشف عن مصيرهم. اين هم ابناؤنا؟ اين رجالنا الذين خطفوا ومن يبرد قلوبنا ويأتينا بالخبر اليقين؟ لو رمي المخطوف في بئر، فإن رائحة جثته تدل عليه، ولو رمي في بحر، فالبحر يلفظ الجثة ولا يبتلعها، ولو انهم ما زالوا في سجن ما يجب ان نعرف. ما زلنا حتى اليوم معلقين بحبال الهواء، نعيش التأرجح القاتل بين ان يكونوا احياء او امواتا.. انا الى اليوم لا اعرف نفسي ان كنت ثكلى او ارملة او من «الشكلين» معا!.. من المعيب الا تتحرى الدولة عن مصير ابنائنا ولتعلن ان كان منهم من لا يزال على قيد الحياة، او هو بحكم المتوفى. ومن المعيب ايضا ان يتبوأ من لوثوا ايديهم بالإجرام مناصب في السلطة، ومنهم من كان يذبح الناس كالخراف، هنا وراء البيت (منطقة صبرا)، ليحققوا معهم، وإن كانوا خائفين من نتيجة الامر، فهل يعقل ان يحرص المسؤولون على مصير شخص ولا يبالون بمصير آلاف الاشخاص المخطوفين؟؟

□ أصدرت الدولة قانونا يجيز لمن اراد من اهالي المخطوفين تقديم طلب الى المحاكم المختصة لتوفية ذويهم. ما رأيك بهذا الحل؟

- بنظري ليس هذا حلا. لم ولن اقدم على توفية افراد عائلتي ما لم ار رفاتهم بام عيني.. لا نعرف مصيرهم فكيف نوفيهم؟ ليبحثوا عنهم ويعلنوا النتيجة ولكل حادث حديث...

□ لنفترض ان زوجك ترك ارثا وراءه وانت في حاجة للمال لإعالة عائلتك، الا تلجئين الى تطبيق القانون المذكور في هذه الحالة؟

- ابدا.. لا اوفي احدا ولو كان وراء زوجي مال بيروت كله.. لا اوفي، ولو وفت الدنيا كلها اولادها.. آكل خبزي كفاف يومي وانتظر عودة الغياب..

النسيان وهم

نموذج آخر من امهات تنكّرن للأنا في ذواتهنّ، وواجهن الحياة بشجاعة وصبر.. لم تنتظر لارا الدبس هدية في عيد المرأة ولا في عيد الام، لأنها ومنذ العام ١٩٨٢ تنتظر اغلى هدية على قلبها.. عودة زوجها المخطوف الذي خلّف وراءه طفلة بعمر السنتين وزوجة بعمر العذاب المضني...

- النسيان وهم.. تقولا لارا، وتدمع عيناها.. اتصور احيانا اني نسيت، الا ان الواقع شيء مغاير تماما. لا استطيع ان انسى ماساتي لأني أعيش في دائرتها.. لا استطيع ان احضر افلام عنف لأني اتصور ان زوجي تم تعذيبه على ايدي خاطفيه.. لا استطيع ان امحو ذاكرتي لأن كل ما حولي جزء من الذاكرة.. هناك اشياء تمر في خاطري، ورغم مأساويتها وشدة تاثيرها بي، الا انها لا تستدر دمعتي عندما اذكرها. لقد فقدت في الحرب اختا قتلت بشظايا قذيفة مجرمة وهل اعز من الاخت؟ الا اني لا ابكي عندما اذكرها، فيما تكويني دموع الحرقة حين أذكر زوجي واتفقده، وأناجيه، ليس لأن زوجي اعز من اختي، بل لأني لا اعرف عن مصير هذا الانسان شيئا. لذلك أعتقد ان الخطف اقوى من الموت وأشد إيلاما.. الخطف كاس مر تزداد مرارته في الحلق شدة كلما تطاول غياب الأحبة ولا خبر.. وهنا تكمن المأساة!..

□ كيف تدبرت شؤون الحياة في ظل خطف الزوج في العام ٨٢، وماذا عن ابنة السنتين في ذلك الحين.

- كانت حادثة الخطف بالنسبة الي قمة التعاسة، وقد زادها التهجير تفاقما. اضطررت الى ترك منزلي انا وأهل زوجي ايضا. ووجدت نفسي اعود الى بيت اهلي الذي ما زلت اقيم فيه الى اليوم، لأن دخلي لا يساعدني على الاستقلال عنهم.. لم يستطع احد من اهل زوجي مساعدتي لأنهم نكبوا بمثل ما نكبت به، ولم اتكل على مساعدة احد، بل على ايماني وعملي وحسب.. كنت موظفة في احدى المؤسسات، وقد اعتمدت على ما اجنيه في تربية صغيرتي وتلبية احتياجاتها.. لقد امدني العمل بالقوة، وكان همي منصباً على ان ابعد عن ابنتي اي احساس بالنقص، او القهر، او الحاجة.. فبذلت الجهد للقيام بدور الام والاب ولكن... انى لطفلة ذكية وحساسة كابنتي الا تبحث في عيني امها، وفي زوايا البيت عن صورة ابيها، وكيف لا تفتقد رائحة جسده، وطعم قبلاته على خديها الطريين؟ وانى لي ان انجح في ان ابعد عن وعيها في بداية تفتحه اجواء مأساة حقيقية ودرامية سادت البيت كله وحولته الى جحيم من حزن وبكاء!!.. لقد حاولت اقناعها في تلك المرحلة من عمرها (سنتان ونصف السنة) بان اباها مسافر.. الا انها كانت تدرك في قرارة نفسها وعبر احاسيسها الشفافة، بان اباها ليس على سفر، بل ان هناك شيئاً ما حصل لأبيها لا تفقه معناه، الا انها تعيش حالة قلق وافتقاد حقيقي لوجوده...

«ليس عندي اب» اجابت طفلتي يوماً احد اولاد الجيران الذي سألها عن ابيها.. وما زلت الى اليوم، كلما اذكر تلك الجملة التي تفوهت بها، اشعر في حلقي بالغصة الممزوجة بطعم العلقم.. فابنتي اليوم في السابعة عشرة من العمر، وهي تحتفظ بصور عرسنا، وتتفقدها دائماً، وتبرزها امام اصحابها، ربما لتقول لهم بطريقة من الطرق، بانها مثلهم، لديها اب.. وإنها لم تات من اللفوفة!..

لقد كانت المعاناة النفسية بالنسبة لكلينا، جزءاً من معاناة حياتية اشمل واعم. فالوضع المعيشي المتفاقم وضآلة الراتب الذي اتقاضاه، حالا دون تمكني من متابعة الإنفاق على تعليم ابنتي في ظل الاقساط المدرسية المرتفعة. فاضطررت عام ١٩٩١، ان ارسلها الى كندا، لتقيم عند بيت جدها الذين تركوا لبنان بعد مأساة الخطف والتهجير وسافروا الى كندا. لقد ضحيت بوجودها الى جانبي، وهي اعز ما تبقى لدي في الوجود، وذلك كي اكفل لها استكمال علومها ومتابعة اختصاصها لاسيما وان العلم هناك مجاني.. لقد بت اليوم وابنتي نعاني حرماناً مضاعفاً. فأنا المحرومة من الزوج والإبنة، وهي المحرومة من الاب والام.

□ تصرين على البقاء في وطنك، وفي وظيفتك، وهو قرار شجاع.. اسألك في المقابل، ماذا قدم الوطن لقضيتك والدولة بالتحديد؟

- لم تقدم الدولة شيئاً غير الوعود بحل قضية المخطوفين، على مدى سنين العذاب، وحتى اليوم لم تحل، لأن المخطوفين لم يتم البحث عنهم من قبل الأجهزة المختصة، كما لم يتم اعلان اعتبارهم بحكم المتوفين. وها نحن واقفين على ارض بلا قرار ولا قعر.. والى متى؟ العلم عند الله.. والدولة.

اما الوجه الاخر للمحنة، فهو عدم اهتمام المسؤولين باوضاع عائلات المخطوفين. اتساءل عن اوضاع زوجات مخطوفين لا يعملن، ولا يملكن مورداً مالياً، كيف يتدبرن شؤون حياتهن؟ لماذا لا يؤمن العلم المجاني، والاستشفاء المجاني، وفرص العمل لأفراد هذه العائلات؟ لوحصل مثل هذا الامر، لما وافقت على الاقل على سفر ابنتي الى الخارج..

□ عيد المرأة العالمي، وعيد الام، ماذا يعنيان لك؟

- يعنيان لي ان وضع المرأة يجب ان يتجاوز الخطب الاعلامية الى تامين السبل الحقيقية الكفيلة بترقية وضعها وتامين حقوقها الانسانية. وزوجة المخطوف واحدة من النساء المنسيات المتروكات لأقدارهن التعيسة. لذا يجب رعاية امورها بشكل افضل أكان من جانب الدولة أم من جانب المؤسسات الاجتماعية التي تعنى بحقوق الانسان وحقوق المرأة.

أم عصام قابلت الخاطفين

- والحديث مع لارا ليس خاتمة المطاف، ولا علاقة له بخاتمة الأحزان. فأم عصام المصري واحدة من الأمهات اللواتي جار عليهن القدر، ففقدت بالخطف وحيدها ابن السبعة عشر عاماً.. ذهب عصام لشراء ربطة خبز، وما زالت امه تترقب عودته.. تتغذى من الامل لدرجة انها تتحين الوقت الذي اتيناها «البصار» بأن ابنها سيعود فيه: «يعود ابنك يوماً يا ام عصام.. ليس قريباً، انما سيعود...» خمسة عشر عاماً مرت على النبوءة، وما زال هم عصام في لقمتي، وعلى مخدتي، واذا مشيت على الطريق».

تضيف ام عصام: الضنى غالي ولا يثمن.. احيانا كثيرة احدق في باب المنزل، واقول: «يا رب دخلك يندق الباب ويفوت». كنت اتامل به وهو الشاب الوحيد بين اخواته الثلاث.. بناتي حنانين جداً الا اني كنت ارى فيه رجل البيت الذي يقوم مقام والده في غيابه.. كان عطوفاً، مرحاً، ذكياً، عالي الهمة.. وقد شكل وجوده بالنسبة الى انداك طمانينة حقيقية الى حاضري، وأملاً بضمانة للفترة التي ارتد بها الى ارذل العمر في المستقبل.. ولما وقعت الواقعة، اصبت بنكسة حقيقية من الناحية النفسية والصحية. لم استوعب الامر في البداية.. كيف يخطفون ولداً أعقل من البنت، وليست له ارتباطات حزبية؟ لم اترك باباً الا وطرقته، ولا بصاراً الا زرته، عرضت نفسي مراراً للخطر في سبيل الوصول الى مكان وجوده، واستطعت ان اقابل خاطفيه الذين اشبعوني وعوداً بإطلاق سراحه، حتى انتهيت الى خيبة مرة بعد عذاب امتد سنوات، ومراجعات لا تحصى، وإهانات على عدد شعر رأسي.. رغم ذلك، انا لا اجزم بموت ابني.. وبرأيي انه كان على الدولة بعد ان استقرت الأوضاع واستتب الأمن ان تلجأ الى حلول فعالة من اجل معرفة مصير المخطوفين جميعاً. بل اني استغرب هذا الإهمال، هل اقول لك باني اتمنى لو ان ابني يابانياً؟! نعم يا ليته يابانياً.. انظري كيف هبت اليابان هبة واحدة من اجل مواطنيها.

□ ما المطلوب من الدولة برأيك؟

- نريد الحقيقة.. ومهما كانت قاسية تظل افضل من هذه الدوامة. تصوري اني احسد قريبتي التي ثكلت في الحرب بولدين من ابنائها قتلا قنصاً لسبب وحيد، وهو انها دفنتهما في قبر، تزورهما في الاعياد، وتضع الزهور على قبريهما..

□ لقد وضعت الدولة كحل لقضية المخطوفين قانوناً يوضح للأهل الراغبين في الاستحصال على وثيقة وفاة لذويهم الأصول الواجب اتباعها لإثبات وفاة المفقودين. فما رأيك بهذا القانون؟

- هل تتصورين اما تقدم على توفية ولدها؟ لا اقدم على ذلك لأني لا استطيع توفية الامل.. لا اوفيه، وليمتلئ فمي تراباً ساعة اتفوه بهذا القول..

□ بوصفك اما لولد مخطوف، ماذا يعني لك عيد المرأة العالمي، وعيد الأم؟ وماذا يقدم لك العيد؟

- لا استفيد شيئاً من هذا العيد.. هو على الارجح يعني نساء يتمتعن بحقوقهن.. اقصد ان اغلبهن من نساء الطبقة البرجوازية اما نحن فمحرومات من اشياء كثيرة، اين ضمان الاستشفاء، وضمان الشيخوخة، فالمرأة منا تهرم ولا يقوم باودها احد..

□ زوجة رئيس الجمهورية هي رئيسة «اللجنة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية» وقد مثلت النساء بمؤتمر بيجنغ العالمي للمرأة. برأيك هل قدمت لنسائنا شيئاً؟

- نحن منسيات.. هن يقدمن لمن هن بمستواهن..

- اذا اردت ان توجهي نداء للسيدة منى الهراوي بمناسبة عيد المرأة وعيد الأم فماذا تقولين؟

- اقول لها، كل عام وانت بخير. حفظ الله الاولاد، ولا اذاقك الكأس الذي نتجرعه.. يعطيك العافية على كل ما تبذلينه من جهد لا سيما في مجال العناية الصحية بالأطفال المرضى. الا انك لا تقدمين شيئاً لي كامرأة مصابة في الصميم.. فهل يحق لي كامرأة وأم، ان اطمع بالتفاتة منك الى قضيتنا ومأساتنا؟!

في انتظار لقاء الحريري

يبقى ان للقضية عنصرين: عنوان ورمز تختصرهما امرأة تسلحت بالجرأة والثقة، وشقت طريقها وسط حقل من الألغام.. الهزيمة لا تعرف طريقاً اليها لإيمانها بحق الانسان في الحياة والحرية والكرامة.. قاومت اليأس والإحباط بعد خطف زوجها وتركها وحيدة تواجه قدرها مع طفلين صغيرين.. لم تكتف بقرع الأبواب بقبضتيها الصغيرتين، للكشف عن مصير زوجها، بل عملت على تبني قضية المخطوف في وطننا، وشكلت «لجنة اهالي المخطوفين» التي ما زالت الى اليوم تحمل همّ المخطوف على كاهلها.. تسلحت بالبيان، والمؤتمر، والمظاهرة، والاعتصام والصيام مع جموع النسوة اللواتي كانت ثيابهن تشتعل لحرقة قلوبهن. انها وداد حلواني، رئيسة «لجنة اهالي المخطوفين» التي كان لنا معها هذا الحوار.

□ عيد المرأة العالمي وعيد الأم، ماذا يعنيان لامرأة تدعى وداد حلواني؟

- تسالينني عن معنى العيد، سواء كان عيداً للمرأة او للأم.. من لا يفرح لعيد؟ الا ان الواقع الذي اعيش فيه ومثيلاتي من زوجات وأمهات المخطوفين عكس ذلك تماماً.. العيد ينكسر على عتبة القلق الذي يساكننا منذ سنوات ولا يدخل. واذا اقتحمناه من على شاشات التلفزيون وصفحات الجرائد، نجد انفسنا مغيبات منفيات وكأننا لا ننتمي الى هذا المجتمع.. او كأن المحتفين والمعيدين قطعوا تذاكر فقط للمرأة والأم من الصنف «البريمو». وهذا الصنف كما تعرفين محدود العدد وله شروط خاصة للانتماء اليه، ولا اعرف اذا كان محظوظاً.

في جميع الاحوال، لست من هواة الاستعراض لا للشكل ولا للكلام المناسباتي المنمق.. فانا انشد التعامل معي كانسان في الدرجة الاولى، امرأة كنت او رجلاً.. اما او أباً.. طالما انا ورفيقاتي في العذاب فرض علينا ان نحمل الهويتين معاً، ونؤمن متطلبات الدورين في مسار درب طويل مزروع بالغام الشقاء والقهر والمصاعب.. وهنا يحضرني بعض من كلام قالته السيدة منى الهراوي في الاحتفال الذي اقامته «اللجنة الوطنية لشؤون المرأة اللبنانية» - وهي رئيستها - في مناسبة اليوم العالمي للمرأة»... قضية المرأة هي اكثر من قضية يوم، انها قضية الانسانية، لا نريد ان يقال ان يوم المرأة هو يوم مهرجان واحتفال... لأن المرأة اللبنانية لا تريد ان تكون قضية نفسها بل قضية المجتمع اللبناني كله...».

هل لمست مدى التطابق في الرأي وإياها؟ عذراً منها، فإن زوجات المخطوفين وأمهاتهم يطلبن الانتساب الى من تنطق باسمهن وتدافع عن حقوقهن...

ان اولاد المخطوفين ينظرون بإعجاب الى رعايتك للطفولة والامومة والاعاقة.. لكنهم يتعجبون لماذا يبقون خارج دائرة الاهتمام!!

وهنا تحضرني ايضاً مشاركة رئيس مجلس الوزراء في الاحتفال الذي اقامه المجلس النسائي اللبناني عشية يوم المرأة العالمي.. وكم اعجبت به حين اعتبر «... ان التكريم الحقيقي للمرأة هو في جعلها تحيا اجواء الامن والامان، مطمئنة الى يومها ومستقبلها ومستقبل اولادها.. هو في رفع أي حيف موروث عنها، وفي تامين الفرص لها لتتعلم وتشارك في الحياة العامة..» داعياً الى جعل هذا اليوم مناسبة للمشاركة الجماعية في العمل من اجل غد أفضل ليس للمرأة اللبنانية فحسب بل للانسان في لبنان.

وجدتني اصفق وأردد «برافو» رئيس.. انه يضع الإصبع على الجرح.. وانتظرت ان يدعونا من على منبره الى اللقاء معه بعد ان طال انتظارنا لموعد طلبناه من مدير المراسم في رئاسة الوزراء منذ حوالى الشهرين.. وما نزال نراجع بشانه حتى اليوم..!!

وما قصدنا من طلب اللقاء معه سوى الحوار في كيفية تدبر امورنا والاطمئنان الى مستقبلنا ومستقبل اولادنا لنطمئن على مستقبل الوطن وسلامته..

□ هل تقصدين التلميح الى لا مبالاة المسؤولين تجاه قضيتكم وأنك ضد القانون الذي صدر في شهر أيار من العام ١٩٩٥ لحل هذه القضية؟

- لا مبالاة المسؤولين لا يمكن اعطاءها وقعها الحقيقي اذا لم نعايش حالتي الانتظار واللايقين القاتلتين اللتين يرزح تحت وطأتهما اهالي المخطوفين.. ومهما جهدت لا يمكن ان انقل اجواءهما النفسية بكلمات وبإجابة على سؤال.. فالمصيبة تقع على صاحبها.

القانون لم يوضع للحل انما للهروب من الحل.. القانون يدعو الأم الى إماتة ابنها.. تصوري ان تسعى ام لتوفية ولد من اولادها وهو لم يمت..! أن تترك ام اولادها لتذهب الى المحكمة وتتقدم بطلب للحصول على وثيقة وفاة بحق زوجها ورفيق عمرها وأب اطفالها والمعيل، ليس لأنه مات، بل لأن القانون الذي تتحدثين عنه فرض عليها ذلك، ومن دون ان يكلف نفسه عناء البحث عن الخاطف المعروف لسؤاله على الأقل عن مصير ضحيته حتى لا اقول لمعاقبته وفقاً لقانون العقوبات الذي حفظناه تلامذة في دروس التربية المدنية!!.. فعنوان القانون بحد ذاته مثير للاستغراب: «الأصول الواجب اتباعها لإثبات وفاة المفقودين»..

فالوفاة امر معروف لدى القاصي والداني، سواء كان لبنانياً ام آسيوياً ام اميركياً.. إثبات هذه الوفاة لا يحتاج سوى الى افادة طبيب أو مستشفى او قريب مباشر تذكر سبب الوفاة مرضاً ام حادثاً ام جريمة الخ.. اليست هذه الأصول؟ وبالتالي لا علاقة للأصول في ما ذهب اليه ذلك القانون، وعلى ما اعتقد، فان توفية شخص لم يمت كمثل من يخطط لارتكاب جريمة قتل بحقه..

ما فائدة القانون؟

وإذا أردت أن انظر إلى هذا القانون بشكل ايجابي وكأنه أريد به حلاً فعلياً وموضوعياً يضع حداً لمأساة يكتوي بنارها آلاف الأشخاص، فماذا أجد؟

السيدة «إيفون» التي خطف زوجها منذ العام ١٩٨٢ - وكان موظفا في إحدى الادارات العامة - ذهبت للمطالبة برواتبه لمدة ١٠ سنوات بعد الخطف وفقاً للقوانين المرعية الاجراء ولتقاضي قيمة التعويض عن السنوات التي قضاها في خدمة الدولة.. فاشير عليها بضرورة توفيته وفقاً لقانون الحل المفترض، حتى تستطيع قبض رواتبه المستحقة وتعويضه.. فارتضت المسكينة اللجوء إلى تطبيق القانون لا لقناعة بموت شريكها، وإنما لحاجة ماسة الى هذه الأموال (وهي لا تغني ولا تسمن من جوع) لتتمكن من تنشئة وحيدتها وتأمين الحد الأدنى من لقمة العيش والتعلم والطبابة.. عضت «إيفون» على الجرح.. قاتلت الإنسان في داخلها، صارعت العاطفة المعششة في كل جوارحها وتوجهت نحو المحكمة كانما أخرى تسيّرها وهي تتمتم كلام الاعتذار والتسامح والحب، فوفته بموجب هذا القانون، لكن القانون لم يرد زوجها، ولم يعطها ما يقوم باودها مع ابنتها.

وماذا تستفيد أم محمد الحايك من تنفيذ القانون في مثل هذه الحال، وقد اقعدها شلل نصفي منذ عام ونيف، وهجرتها القدرة على النطق بعد أن أنهك قواها اختطاف الزوج والابن والبكر معاً؟ هل تنفيذ أحكام هذا القانون وتوفية محمد وأبيه يعيدان الحركة إلى أوصالها، والكلام الى لسانها، هل تعاد إليها الحياة.. أي حياة!!

ما أرادته لجنتنا ومعها لجنة الدفاع عن الحريات العامة والديموقراطية في المذكرة التي قدمت الى الرؤساء الثلاثة منذ العام ١٩٩٣ والتي ما زالت مطالبتنا تشدد على ما جاء فيها حتى اليوم، هو أن تتحمل الدولة مسؤوليتها تجاه مواطنيها والمقيمين على أراضيها بالكشف عن مصير آلاف المخطوفين، وذلك عبر إجراء عملية استقصاء وتحر جديين بعد أن زالت كل الصعوبات التي كانت تعيق مثل هذا الإجراء..

وهنا لا بد من أن تثبت الدولة مصداقيتها في بناء السلم الذي ترصفه حجرا حجرا، وحتى تضمن تماسكه أظن أن عليها أن تزيل كل العثرات التي يمكن أن تزعج مسيرته، لأن السلم الحقيقي لا يتحقق ما لم تزل وتعالج كل نتائج الحرب. ولا تنسي أن تسجلي اننا كاهالي مخطوفين من أشد الناس دعاة وحاجة الى مثل هذا السلم..

□ هل لديكم كلجنة مطالب أخرى؟

- بالطبع.. أونسيت أننا مواطنون نقوم بكل واجباتنا ونفتقد الى الحد الأدنى من الحقوق؟

فهل يجوز أن يعاقب ابن المخطوف على مدى سني حياته؟ ألا يكفيه ما عانى ويعاني من جراء افتقاد حنان الأب ورعايته، فنحرمه من حقه في التعلم، وندفع به الى أتون الجهل والأمية والضياع بدل الأخذ بيده لملاقاة مستقبل واعد؟

هل يعقل أن تجرجر زوجة المخطوف مرضها وتنتظر حتفها على باب المستشفى لأن جيوبها فارغة من المسيولة الباهظة؟

لماذا تلفظ سوق العمل أولاد المخطوفين وزوجاتهم؟

لماذا لا يُنظر إلى مخطوفي الحرب اللبنانية بمستوى ضحايا الإعتقال والأسر على أيدي العدو الاسرائيلي؟

أين وزارة الشؤون الاجتماعية؟ لماذا انشئت؟ وبشؤون من تهتم إذا لم يكن استيعاب هؤلاء الناس وتأهيلهم ومساعدتهم على ايجاد فرص عمل أمامهم في سلم أولوياتها؟

لماذا لم تجر أي من الهيئات والجمعيات الاجتماعية ولو اتصالاً بهذه الفئة من الناس للسؤال عن أوضاعهم وإمكانية مساعدتهم في مجالات التدريب ومحو الأمية والعناية الصحية وتمرينهم على إتقان مهارة أو مهنة كي يشقوا طريقهم في الحياة بكرامة ويساهموا في بناء مجتمعهم بدل أن نرميهم فريسة للجهل والبطالة والعوز وما يمكن أن ينشأ عنها من أعمال سرقة وقتل وانحراف؟

أعذريني إن علت نبرتي، فالمأساة كبيرة ومتشعبة الأبعاد، ولم أشأ بكلامي هذا الإساءة الى أحد.. فأنا أعتبر أن علاج هذه القضية وما يتفرع عنها من شجون مسؤولية رسمية في الدرجة الأولى، لكن ذلك لا يلغي دور المؤسسات الأهلية والجمعيات الاجتماعية في المساعدة والتضامن، ولأن حل هذه المسألة لا يطال فردا وإنما شريحة كبيرة في المجتمع اللبناني، وإنقاذها يعني إنقاذ المجتمع..

□ في المؤتمر الصحافي الذي عقدته لجنتكم مؤخرا، طالبت الدولة بإقامة نصب تذكاري للمخطوف، لماذا؟

- إن إقامة مثل هذا النصب نوع من التخليد لذكرى المخطوف، ليس في ذاكرة أهله لأنه مقيم فيها، بل في ذاكرة المجتمع. لذا طالبنا بإقامته في ساحة رئيسية في العاصمة. كما أردناه ثانية بمثابة إدانة مائلة يوميا لجريمة الخطف تثير التساؤل، وتمنع الأجيال الناشئة من اللجوء الى تكرارها مستقبلاً.

□ هل من كلام أخير تودين قوله؟

- أود أن أحيي جميع نساء وأمهات بلادي اللواتي لا تزورهن الأعياد ولا تتذكرهن سوى المعاناة، ولا أملك سوى قبلة في العيد أطبعها على خدودهن ووعدا بمتابعة البحث عن معالم ضوء تكشح الظلام..

تحقيق: ألفت سعد

لارا الدبس: الخطف أقوى من الموت... وأشد إيلاماً

تيسير وحمزة وناصر ابو زيد ووالدهم محمد

ابنة تيسير أبو زيد تحمل صورة والدها

وداد حلواني

وداد حلواني: قانون «التوفية» لم يوضع للحل وإنما للهروب منه

ام عصام

أم عصام: طرقت كل الأبواب... وتلقيت وعوداً من الخاطفين لم تنفذ

ام تيسير

أم تيسير: عيد الأم يذكرني بالمأساة التي قلما أنساها